هل قتل الرجل العجوز .. خادمته الشابة

قصة جيمس فلنج ... وآخرين

ان مصرع « جيمي ماكفيرسون » لايزال غامضاً الى الآن . . بالرغم من مرور أكثر من ثلاثة أرباع قرن على وقوعه ! !

لقد انقسمت انجلترا واسكتلندا بشأنه الى فريقين لا يعترف أحدهما بوجهة نظر الآخر . . واستظلت امرأة شقية بسببه بظل المشنقة مرتين . . ثم سجنت بعد ذلك خمسة عشر عاما خرجت من بعدها لتتزوج من جديد من رجل اقتنع ببراءتها ! !

فهل قتلت هذه الشقية « جيمي ماكفيرسون » ، أم قتل الرجل العجوز « جيمس فلمنج » خادمته الشابة هذه . . ومع ذلك بقي مطلق السراح ؟ !

أسرع المستر « جون فلنج » — وهو محاسب محترم معروف بمدينة « جلاسجو » — يطوى درج منزله فى خطى واسعة مهرولة . . وراح يطرق أبواب جيرانه بعنف غير معهود . . ولكن لم يجبه أحد منهم إلى طرقه فقد كانوا لم يعودوا بعد من عملهم ، على أنه عندما لمح أحدهم يقدم من المنعطف القريب طلب منه أن يصحبه إلى المنزل حيث ترقد جثة مسجاة هامدة ! ولكن هذا الجار رفض طلبه فى استنكار وحرص بالغين . . فلم يسع « جون » إلا أن يهرول إلى منزل الدكتور « واطسون » القريب منه أيضاً .

ولو أراد الله أن يكشف سر الجريمة التى كانت قد وقعت فى المنزل رقم ١٧ من شارع « ستانديفور بالاس » لألهم الدكتور « واطسون » هذا — أو « جون فلنج » على حد سواء — إلى إبلاغ البوليس نبأ اكتشافها فى الحال . . ولو تم ذلك لكان هناك شك فى أن يبقى مصرع « چيمسى ماكفيرسون » غامضاً إلى درجة بعيدة . . ولما انقسمت انجلترا واسكتلندا فى شأن هذه الجريمة إلى فريقين لا يعترف أحدهما بوجهة نظر الآخر . . ولما استظلت امرأة شقية بظل المشنقة مرتين . . ولما اضطر وزير الداخلية — يومئذاك — إلى الأمر بإعادة التحقيق فى قضية امتنع القضاء والمحلفون بعدالة حكمهم فيها . . بل ولما أقحم مجلس العموم اقحاماً فى مشكلة صدرت فيها كلمة العدالة . . ولما ظل مصرع

هذه الإمرأة « چيسى » محفوفاً بالغموض حتى كتابة هـذا السطور . . أى بعد أكثر من ثلاثة أرباع قرن من وقوعه ! .

ولكن . . شاءت الأقدار أن يلبى الدكتور « واطسون » نداء المستر « جون فلنج » بمفرده . . وأن يعمد إلى توقيع الكشف الطبى الطويل على الجثة التى اقتيد إليها . . وشاء له علمه أن يضيع وقتاً طويلا فى هذا الأمر . . ولا يخرج بعد ذلك بنتيجة سوى أن الضحية صرعت بعد أن توالت على رأسها أربعون ضربة ، وبأن موتها لم يكن انتحاراً . . كأن هذا القول كان فى حاجة إلى علم مكين ! .

ووصل رجال البوليس والمباحث الجنائية . وعلموا أن آل « فلنج » قد أمضوا عطلة الأسبوع على الشاطىء بعيداً عن جلاسجو . . بعد أن تركوا خادمتهم « چيسى » — وتبلغ من العمر ٣٥ عاما — لكى تعنى بالمستر « چيمس فلنج » العجوز الذى كان يشغل مركزاً بسيطاً : هو جمع إيجار العقارات التابعة للشركة التى يدير حساباتها نجله « جون » . فلما عادوا من رحلتهم إلى منزلهم بشارع « ستانديفور بالاس » — فى يوم الإثنين وكانوا قد غادروه فى يوم الجمعة — استقبلهم العجوز محيياً . . وأخبرهم أن « چيسى » قد انقطعت أخبارها عنه وأنه لم يرها منذ يوم الجمعة .

ولما نزل « جون » — على الأثر — إلى الطابق الأرضى للمنزل ودلف إلى حجرة « چيسى » ألفى المسكينة جثة مشوهة ألقيت أشلاؤها

إلى جوار مخدعها ، وما أن علم « فلنج » العجوز بالأمر ورأى المنظر المؤلم الذى كانت عليه حتى صاح : (يا إلهى أترقد « جيمى » هنا هكذا . وأنا معها بالمنزل ؟ !) وما لبث أن هرول « جون » يطلب نجدة جيرته . . والدكتور « واطسون » كما أسلفنا القول .

ولم يحتج الأمر إلى كبير عناء . . كيما يلاحظ رجال البوليس أن هناك محاولة قد بذلت من قبل لمسح أرضية الجناح الخاص بالخادمة . . على أنه بقيت بعض بقع ندية من الدم متناثرة هنا وهناك . . ووضح من ذلك أن القاتل حاول جر ضحيته من مكان لآخر !

وكان من أغرب ما استدعى الانتباه أيضا وجود آثار « قدم يُسرى » ملوثة بالدماء مطبوعة على الأرضية . . كما أن أدوات المائدة الفضية الخاصة بالأسرة اختفت من مكانها ! !

ولقد دل الفحص الطبى أن القتيلة لقيت حتفها متأثرة من ضربات « ساطور » وجد إلى جانب جثتها . . وأبرزت الإصابات المتعددة الواهنة بالجسم شخصية السفاح . . فقد كان : إما رجلا ضعيف البنية . . أو امرأة . . ومما لا شك فيه أن القتيلة لقيت حتفها بعد أن كافحت هذا السفاح . . أو السفاحة . . وقتاً طويلا ...

سأل المحقق « جيمس فلنج » العجوز أن يقص عليه كيف أمضى عطلته بدوره . . فأجاب : — لقد تبللت قدماى فى أثناء مسيرى يوم الجمعة

فنزلت إلى المطبخ بالدور الأرضى لأصيب قليلا من الدفء ، وأعدت لى « جيسى » قدحاً من الشاى .. وعندما أشرفت الساعة على التاسعة والنصف صعدت لأنام ، تاركا إياها منهمكة فى غسل بعض الأوانى والملابس .. ولعله من المناسب أن أذكر الآن أنى سمعت صيحة عالية فى أثناء رقادى ، فاستيقظت وتبينت الوقت ، فإذا بالساعة قد بلغت السابعة .. ثم سمعت صيحة أخرى خافتة عن الأولى وخيل إلىّ أنها آتية ومنبعثة من الخارج .. فاستسلمنا للرقاد من جديد .

واستأنف الرجل العجوز قوله :

ــ ولما بلغت الساعة الثانية من صباح اليوم التالى ولم تقدم « جيسى » إلىّ حاملة طعام الإفطار كالعادة ، دهشت وتملكنى القلق ، فارتديت ملابسى ونزلت إلى الطابق الأرضى وكانت الساعة قد قاربت التاسعة .. فطرقت باب مخدعها ثلاثا ، ولكنى لم أتلق رداً .. وعندئذاك طرق الباب خادم الجيران وطلب فأسا .. فلبيت طلبه بنفسى .. ولكن كم كانت دهشتى عندما وجدت أن الباب العام للمنزل مفتوحاً على مصراعيه !

ولما فاجأه المحقق سائلا إياه عن السبب فى عدم انتظاره حتى ترد الخادمة على الطارق للباب .. كما جرت العادة .. أجاب على الفور :

ــ لقد قضى على « جيسى » قبل ذلك !

ــ من أين عرفت هذا ؟؟

« جيمس فلمنج »

ولقد استمر العجوز بعد ذلك فى سرد روايته فقال إنه قصد إلى عمله بعد ظهر ذلك اليوم وعاد إلى المنزل على الأثر أملا فى أن يجد خادمته ولكنها لم تعد .. فأعد طعامه لنفسه وأبلغ رجلا جاء يسأل عنها أنها غير موجودة ، وبعد أن جمع بعض الملابس التى كانت معلقة لتجف ، صعد إلى غرفة نوم حيث استسلم للرقاد .. وفى اليوم التالى — الأحد — قصد إلى الكنيسة مرتين ولم يقف لخادمته على أثر .. وفى يوم الاثنين استيقظ مبكراً ، وبعد أن تولى جمع بعض أجور الشركة عاد إلى منزله فى تمام الساعة الثانية .. وبعد قليل عاد ابنه « جون » من رحلته ...

وقد دل الحديث الذى أدلى به المستر « جيمس فلنج » على أنه لكبر سنه قد قارب أن يفقد ملكة دقة الملاحظة إلى حد يدعو إلى الدهشة ! فهو مثلا لم يلحظ الحالة التى كانت عليها أرضية الدور الأرضى .. ولم يلتفت إلى أن الأدوات الفضية الثمينة قد اختفت .. ولم ير بقع الدم التى تناثرت على الملابس التى جمعها بنفسه .. والأدهى من كل ذلك أنه لم يخبر أحداً طوال هذه المدة بأمر اختفاء جيسى ماكفيرسون .. ولم يحاول أن يعرف أين قصدت أو ولت بأى حال من الأحوال !! ..

وكان بديهياً أن تتجه أنظار المحققين على الأثر إلى « فلنج » العجوز هذا على أنه مرتكب الجريمة !! وسرعان ما ألقى القبض عليه .. وما أن أذاع البوليس نشرة بوصف الأدوات الفضية الفاقدة حتى تقدم أحد التجار

وأبلغ بأن امرأة تدعى « مسز ما كلاشلان » قد رهنتها لديه . . وتبين أن هذه الإمرأة زاملت القتيلة — جيسى ما كفيرسون — من قبل مدة خمس سنوات فى خدمة « آل فلنج » بالذات . . وأنها تركت عملها لديهم عقب زواجها لسنوات خمس أيضاً خلت ! كما تبين أنها ظلت على صداقتها الوطيدة مع القتيلة دواماً .

وكان ما قررته « مسز ما كلاشلان » أعجب مما قرره « فلنج » العجوز ! قالت : إنها لم تزر منزل « آل فلنج » فى الأسبوع الأخير . . وبالتالى لم تقابل « جيسى » فى هذه المدة . . كما لم تعلم عن مصرع صديقتها المسكينة شيئاً . . وكل ما قررته أن « فلنج العجوز » زارها فى منزلها مساء يوم الجمعة الأخير حاملا الأدوات والأوانى الفضية وكلفها أن ترهنها لكى يحصل من وراء ذلك على أجر سفره إلى « الهايلاندز » . . وفى اليوم التالى عاد إليها ومنحها أربعة جنيهات من الستة جنيهات وبضع الشلنات التى حصلت عليها من رهن الفضيات . . وألح عليها عندئذاك فى إبقاء الأمر سراً بينهما حتى لا يترامى خبره إلى أسماع ابنه « جون » فيغضب من تصرفه .

على أن البوليس واجهها بعد ذلك بالأدلة المناقضة لأقوالها هذه . . فقد تبين له أنها لم تكن بمنزلها مساء يوم الجمعة بأكمله . . وأنها رؤيت ترتدى بعض ملابس القتيلة عندما عادت فى هذه الليلة إلى منزلها . . وعلى الرغم من أنها لم تكن تملك شروى نقير ، فقد استطاعت فى صباح يوم

السبت أن تسدد جانباً من ديونها .. حتى قبل أن تقوم بعملية رهن الأوانى الفضية ... ! !

ولم تسلم هذه المرأة أيضاً من لسان « جيمس فلنج » .. فقد صرّح بأنه لم يرها منذ أكثر من سنة . وأشار إلى أنه لو فكر حقيقة فى السفر إلى « الهايلاندز » — الأمر الذى لم يخطر على باله بالمرة — لاستطاع أن يتدبر ثمن ذلك ، سحباً من رصيده بالبنك .

ووجد البوليس نفسه أمام امرأة ادعت بأن « جيمس فلنج » قد زارها فى الوقت الذى أنكر فيه هذا رؤيتها لشهور عديدة مضت .. أمام امرأة شوهدت ترتدى ملابس القتيلة فى ليلة اختفائها .. أمام امرأة اعترفت برهنها للأدوات الفضية وبأنها كانت فى حيازتها .. أمام امرأة اضطربت وكذبت فى تبيان تحركاتها والطريقة التى وفت بها ديونها .. وأخيراً .. أمام امرأة تبين أن بصمات قدمها اليسرى قد طابقت البصمات الملطخة بالدماء والتى شوهدت بوضوح على أرضية مسرح جريمة قتل « جيسى ماكفيرسون » .. فلم يسعه أزاء كل ذلك إلا الاعتقاد بأنه وضع يده على المقترف الحقيقى للجريمة .. وما لبث أن أطلق سراح « جيمس فلنج » العجوز ، وأودع مكانه هذه المرأة : « مسز ماكلاشلان » .

وبعد عشرة أسابيع من مصرع جيسى — فى يوم ١٧ سبتمبر من عام ١٨٦٢ على وجه التحقيق — بدأت محاكمة المتهمة التى لم تكن

قد بلغت السادسة والعشرين من عمرها . وعندما مثل « جيمس فلنج » ليؤدى شهادته مؤيداً للإتهام ، انتهز الدفاع عن المتهمة الفرصة ، وأخذ يشكك المحكمة فى صدق الشاهد إذ قدّر سنه بما يقرب من الثمانين . . وقال — أى الدفاع — أن الشاهد لم يصل بعد حتى إلى الخامسة والستين من عمره . . فما الذى جعله ، وقد بدا أكثر تقدماً فى السن إلى هذا الحد ؟ ! لعل ذلك راجع إلى الخوف الذى تملكه واستولى عليه من جراء بقائه مدة طويلة مع جثة هامدة مثخنة بالجراح القاسية تحت سقف واحد . . أو لعل الأمر راجع إلى أنه كان يريد أن يبعد الشك من جهته بتصنعه الضعف وكبر السن ! ! ومهما يكن من أمر فإن كل من رأى الشاهد العجوز فى أثناء المحاكمة ، وكان يعرفه قبل ذلك ، قرر أنه قد « شاخ » تماماً واعتراه ضعف ووهن شديدين . . فلا غرو إذ وضع منظاراً أسوداً على عينيه . . وشكا من تزايد الوقر فى أذنيه ! !

ولقد وجد المحلفون أن شهادة الشهود ضد المتهمة قوية . . فهذا « جيمس فلنج » ينكر رؤيته لها من شهور فى الوقت الذى كانت فيه على صلة وثيقة بالقتيلة . . وهؤلاء هم الشهود الذين رأوها ترتدى ملابس القتيلة ليلة اختفائها ، وهذا هو التاجر الذى رهنت لديه الفضيات . . وهذه هى أكاذيبها وتلفيقاتها التى لم تجد طبيها عن تصرفاتها فى « فترة الشك » التى كانت فيها القتيلة ملقاة أشلاء تحت سقف « آل فلنج » !

وإزاء كل هذا لم يجد الدفاع بداً من بذل الجهد فى سبيل إطلاق سراح المتهمة ، على أساس أن هذه الأدلة غير كافية . . لا على أساس البراءة التامة من الجريمة ! ! ولم يعدم الدفاع أن يتقدم بشاهدين : أولهما بائع لبن قرر بأنه فى الساعة الثامنة من صباح يوم السبت طرق باب منزل « آل فلنج » ففتح له « الرجل العجوز » الباب العام الذى كان محكم الغلق عندئذاك — ولم يكن مفتوحاً كما ادعى هذا العجوز من قبل — وثانيهما امرأة شهدت بأن چيسى قد تحدثت إليها فى شأن « فلنج » العجوز فوصفته بأنه « عجوز ماكر ، وشيطان رجيم » وقالت : إن محدثتها خجلت من أن تذكر لها شيئاً مما كان يحدث من هذا العجوز لها . . لفرط أباحيته ! وحاول الدفاع على الأثر أن يصور وقوع الجريمة هكذا :

— لقد أراد چيمس فلنج أن يثبت حبه للخادمة « چيسى مكفيرسون » بطريقة « عملية » ولكنها قاومته . . فانتهى الأمر بأن قتلها .

على أن القاضى ديز — رئيس الجلسة — لم يأبه بشهادة بائع اللبن وسخف شهادة المرأة . . وبدا فى تعليقه على ما دار بالجلسة والمحاكمة كأنه بعيد كل البعد عن صالح المتهمة !

وجاء دور المحلفين . . ومن عجب أنهم لم يجتمعوا أكثر من ربع ساعة فى غرفتهم . . ولهذا أدرك الناس أنهم قد انقادوا فى يسر إلى رأى القاضى . . وما لبثوا أن قذفوا فى وجه المتهمة بالإدانة . . فنطق القاضى بإعدامها .

وعلى الأثر حدثت مفاجأة غريبة . . فقد طلب الدفاع ــ وفقاً للقانون الإنكليزى السائد إذ ذاك ــ أن يسمح له بتلاوة بيان كتبته المتهمة . وفيه اعترفت بأنها قصدت فى مساء يوم الجمعة إلى « ستانديفور بالاس » حيث وجدت « فلمنج » العجوز يحتسى الخمر مع « چيسى » فى شراهة . وما لبثت أن دارت مناقشة بين الإثنين المخمورين وفيها هددت « چيسى » مخدومها بأنها ستفضح منه أمراً كان مستوراً ، فنهرها هذا فى عنف . ثم أرسلها ــ أى أرسل المتهمة ــ لكى تشترى بعض الخمر . . وعندما عادت وجدت صديقتها وزميلتها السابقة تسبح فى بركة من الدماء . . ولكنها لم تكن قد فارقت الحياة بعد ، فأسندتها إلى فراشها واخذت تحاول غسل جراحها وتضميدها . . ثم حملتها بعد ذلك إلى جانب الموقد للتدفئة ، وفى هذه الأثناء كان العجوز قد انهمك فى غسل أرضية الغرفة وصب إناءاً مملوءاً بالماء على هذه الأرضية . . فبلل هذا الماء بعد أن تخضب بالدم رجلها اليسرى وجانباً من ملابسها ، الأمر الذى اضطرها إلى خلع حذائها الأيسر والسير عارية القدم ــ ولهذا ظهرت بصمات قدمها اليسرى فى الأرضية بعد ذلك ــ كما ارتدت بعض ملابس « چيسى » بناء على طلب هذه الأخيرة التى كانت لاتزال تتألم من إصاباتها ، وما لبثت أن انتهزت انهماك العجوز فى عمله وأسرت إليها ــ أى إلى المتهمة ــ بأن هذا الرجل ارتكب معها فعلا فاضحاً فى الأسابيع الماضية القريبة وأنها لذلك

صممت على أن تجعله يدفع ثمن فعله الفاضح . . واعتدائه الحالى . . غالياً ! .

واستمر بيان المتهمة واصفاً ما حدث بعد ذلك من أن « فلنج » استحضر إنجيلا وطلب منها ، ومن چيسى ، أن تقسما على عدم الإفضاء بأى شىء مما حدث لأحد ، ففعلتا . وفى اليوم التالى ساءت حالة « چيسى » فطلب « فلنج » منها — أى من المتهمة المسز ما كلاشلان — أن تستدعى طبيباً ، فلما وصلت إلى الباب الخارجى وجدته مغلقاً ، فعادت إلى الرجل فوجدته قد هاجم فريسته من جديد وأجهز عليها ثم جر جثتها إلى غرفة نومها ، ثم صرف شاهدة الحادث بعد أن سلمها الأدوات الفضية لإيهام الناس بأن لصاً هو القاتل ! .

استمع القاضى « ديز » إلى هذا الاعتراف المفصل فى ملل واضح . . ثم أقر رأى المحلفين . وأكد أنه لم يخالجه شك قط فى براءة « السيد العجوز » — يعنى المستر « جيمس فلنج » — ثم أمر بالمتهمة أن تحبس ثلاثة أسابيع تتناول فيها الماء القراح والخبز فقط . . ثم تشنق بعد ذلك . . وأنهى قراره قائلا فى خشوع وابتهال :

— ليرحم الرب الكريم روحك .

فصرخت المتهمة فى وجهه قائلة :

— نعم سيرحمها لأنى بريئة ! .

وما أن انتهت المحاكمة ، حتى ثارت ثائرة الرأى العام والصحافة فى

البلاد . . فقد كانا يقفان إلى جانب المتهمة وبناصرانها . . ويريان فى بيانها الأخير ما يخالف رأى القاضى والمحلفين . . وانتهى الأمر بأن عقد أهالى جلاسجو اجتماعا كبيراً حضره ما يقرب من المائة ألف شخص وقع نصفهم على التماس كتابى رفعوه إلى وزير الداخلية ليأمر بتأجيل تنفيذ الحكم على المتهمة حتى تنجلى الحقيقة ! . ومما يجدر بالذكر أنه لم تكن هناك إذ ذاك محاكم استئنافية حتى يمكن الطعن أمامها فى حكم القاضى .

استمر غليان الأفكار واضطراب الأقوال مدة . . إلى أن أصدر وزير الداخلية أمره قبل حلول موعد الشنق بأسبوع بتأجيله ثلاثة أسابيع ريثما يحقق دفاع المتهمة الجديد الذى أدلت به فى بيانها قبيل صدور الحكم عليها . . حتى إذا ما ثبت عدم صحته نفذ الحكم بالإعدام فوراً .

وقد استمع عمدة « هاندنجتون » الذى عهد إليه بالتحقيق فى أقوال كثير من الشهود السابقين والشهود الجدد . . ومن عجب أنها جاءت فى مجموعها مدعمة لبيان المستر « ماكلاشلان » . . فقد قرر أحد الجيران بأنه سمع طرقاً ينبعث من منزل « آل فلنج » فى منتصف ليل الحادث وقررت أخرى بأنها عاونت مستر « چيمس فلنج » العجوز فى غسل درج منزله يوم السبت . . وأفضى زميل لهذا العجوز ومن رواد الكنيسة بأن لوماً وجّه إلى « فلنج » من قبل لاعتدائه على خادمته منذ سنوات

وإنجابه طفلا غير شرعى منها ! . وأدلى « لوردليستر » — وكان يومئذاك أستاذاً بجامعة جلاسجو — بأنه يعتقد أن ما جاء ببيان المتهمة يطابق الوقائع العلمية فى القضية .

وانتهى الأمر باستبدال حكم الإعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة . . ولكن ثائرة البلاد لم تهدأ إذ انقسمت بالنسبة للموقف مذاهب شتى ، وفى وسط هذا المعمعان تقدمت المتهمة السجينة إلى السلطات وأدلت ببيان جديد قررت فيه أن « فلنج » العجوز لا يد له فى الجريمة وأنها هى التى قتلت صديقتها تحت تأثير مخدر قوى كانت تتعاطاه . . هو الأفيون الممزوج بالكحول ! . وتلقف أصدقاء « فلنج » هذا التصريح بالسرور والابتهاج ، ووجم أنصار المرأة وتواروا . . إلا أنها عادت فجأة فأدلت ببيان ثالث أنكرت فيه بيانها الثانى . . وقالت إنها قصدت من ورائه معرفة مدى تأثيره على الرأى العام فقط ! .

لقد كان ذلك ضرباً عجيباً من الدعابة . .

على أن الأمر انتهى ببقاء المتهمة فى السجن . . حيث أمضت به خمسة عشرة عاما . . وما أن غادرته حتى تزوّجت للمرة الثانية . . ثم توفيت بعد ذلك فى نهاية القرن الماضى .

ولقد حاول كثيرون أن ينتزعوا الحقيقة من المتهمة بعد أن أوفت مدة عقوبتها . . وكانت إجابتها دائماً أنها بريئة من دم صديقتها الخادمة

القتيلة . . ولكنها لم تحاول فى الوقت نفسه أن تلقى بأى اتهام على الرجل العجوز « جيمس فلنج » الذى كان قد رحل إلى دار البقاء فى خلال مدة سجنها .

أما زوجها الثانى الذى تزوجته فقد كان من ذوى قرباها . . وقال : إنه يتزوجها ، لا عطفاً عليها ، وإنما تقديراً لها . . إذ يعتقد أنها بريئة مما نسب إليها ، وأنها لذلك تستحق كل تشجيع !! . .

واليوم يحق لنا أن نتساءل : من الذى قتل « چيسى ماكفيرسون » حقيقة ؟ أهو « فلنج » العجوز ؟ أم هى مسز « ماكلاشلان » ؟ أم كلاهما معاً ؟ ولماذا ؟ .

يبدو من غير المعقول أن تستطيع « مسز ماكلاشلان » ارتكاب الجريمة بمفردها فى منزل « آل فلنج » ، سواء أكانت تحت تأثير مخدر أم كانت فى كامل وعيها . . ويغلب على الظن أن بيانها فى أثناء المحاكمة لم يكن كاملا ، بل جاء مبتسراً : وأنه إذا كان المستر « فلنج » قد ارتكب الحادث فلابد أنها شاركته فيه . . ولا ريب أنه كان يخشى أن تذيع « چيسى » عنه أموراً شائنة ، ومحاولات دنيئة ، فتخلص منها بواسطة (الساطور) عندما شك فى أنها ستحافظ على قسمها بالكتاب المقدس .

ومن المرجح أيضاً أن يكون فى الأمر سر دفين يكمن وراء الجريمة ، فقد ثبت من التحقيق ، والكشف الطبى ، أن القتيلة وضعت طفلا

من قبل — ولم تكن متزوّجة . . فهل كان هذا الطفل هو ابن « فلنج » العجوز ؟ ! وهل استطاعت المرأة إقناعه ببنوّته ؟ ! وهل كان الطفل لا يزال على قيد الحياة عندما وقعت الواقعة ؟ ! وهل هددت « چيسى » بإعلان كل ذلك على الملأ ، فعاجلها العجوز ونقلها إلى دار البقاء والصمت معاً .

إن الإجابة على كل هذه الأسئلة المنهملة ، قد حملته القتيلة فى مثواها والمتهمة فى سجنها . . وهى التى ثبت فى أثناء التحقيق أنها كانت فى السنوات الخمس التى تلت زواجها الأول عقب خروجها من خدمة « آل فلنج » صديقة شخصية للمستر « چيمس فلنج » العجوز ! ! وهذا ما يدل على أن دورها فى الجريمة لم يكن ثانوياً . . ومن جهة أخرى فقد تكون قصتها الثانية صادقة ، إذ لم يرد عليها الرجل العجوز بشىء حاسم يقضى عليها .

كل هذا وذاك من باب الحدس والتخمين والاستنتاج . . أما الحقيقة فلا يعرفها أحد ، ولن يعرفها أحد . . وإذا كانت هناك فائدة قد جنتها بريطانيا من وراء هذه الجريمة فهى أنها قد عجلت — ومثيلاتها من القضايا الحائرة — فى إنشاء درجة ثانية (محكمة استئناف) للنظر فى أحكام القضايا الأولى . . وكانت هذه الدرجة غير معروفة فى القضاء الإنجليزى من قبل .

ومن عجب أن هذه المحكمة الاستئنافية لم تنشأ سوى فى عام ١٩٠٧ ولم يكن يسمح للمتهم المحكوم عليه قبل ذلك التاريخ إلا باستئناف الخطأ فى تطبيق القانون دون تعرض للوقائع فى حد ذاتها . . إذ أن القانون الانجليزى كان ، ولا يزال ، يرى أن القضاة هم ظل الله فى أرضه . . وأنهم لا يخطئون فى تقدير الوقائع . .

على أنه أبيح فى عام ١٩٠٧ للمتهم أن يستأنف الحكم القاضى بإدانته من جميع نواحيه أمام المحكمة الجنائية الاستئنافية التى تشكل من قضاة ثلاثة يختارون من بين رجال المحكمة العليا الممتازين . . ويرأسهم « قاضى القضاة » بنفسه عادة . . وهذا هو النظام المتبع إلى الآن . .